

الجمهورية العراقية
وزارة التعليم العالي والبحث
العلمي

البلاغة العربية

المعاني والبيان والبريد

تأليف

دكتور محمد مطرب

الطبعة الاولى

حقوق الطبع والنشر محفوظة لدى وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

١٩٨٠م

٥١٤٠٠

الفصل الاول

البيان

فهي الملمعة : جاء في «لسان العرب» لابن منظور : «البيان ما يبين به الشيء من الدلالة وغيرها . وبان الشيء : اتضح فهو بينٌ . واستبان الشيءُ : ظهر . والبيان : الفصاحة واللسن ، وكلام بين : فصيح . والبيان : الافصاح مع ذكاء ، والبين من الرجال : الفصيح والسمح اللسان ... البيان : إظهار المقصود بأدب لفظ ، وهو من حسن الفهم وذكاء القلب مع اللسن ، وأصله : الكشف والظهور» .

وفي هذا النص إشارة إلى المعنى اللغوي لكلمة «البيان» وهو الظهور وإلى المعنى الذي يقرب من الاصطلاح البلاغي وإن لم يكن واضحاً جلياً ، لأن «البيان» لم يأخذ صورته الأخيرة إلا في القرن السابع للهجرة على يد السكاكي (٦٢٦هـ -) ولأن المعاجم لاتعني إلا بدلالة الالفاظ الوضعية في كثير من الاحيان .
في القرآن : وفي القرآن الكريم إشارات كثيرة إلى «البيان» منها قوله تعالى : «هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين» (١) ، والبيان هنا الايضاح . وقوله تعالى : «الرحمن . علم القرآن خلق الانسان . علمه البيان» (٢) والبيان هنا المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير .
في الحديث : وفي الحديث النبوي الشريف : «إن من البيان لسحراً ، وإن

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٣٨ .

(٢) سورة الرحمن ، الآيات ١ - ٤ .

وهذا هو تأويل قول الاصمعي البليغ من طَبَّقَ الْمِفْصَلَ وَأَغْنَاكَ عَنِ الْمَفْسَّرِ « (١) .

«والبيان عند الجاحظ واسع المعنى ، وهو الكشف والايضاح والفهم والافهام ويحتاج إلى تمييز ، وسياسةٍ وتمام الآلة وإحكام الصنعة ، وسهولة المخرج وجهارة المنطق ، وتكميل الحروف ، وإقامة الوزن . يقول :

البيان : اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب
دون الضمير حتى يَفْضِي السامع الى حقيقته ويهجم على محصولة كائناً ما كان ذلك البيان ومن أي جنس كان ذلك الدليل ، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والافهام ، فبأي شيء بلغت الافهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع « (٢) .

وتحدث عن الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ وهي خمسة أشياء:
اللفظ ، والاشارة ، والعقد ، والخط ، والحال التي تسمى النُصْبَة.

ابن وهب :

وهذه الصور الخمس هي رأي الجاحظ في البيان ولذلك جاء مفهومه عنده واسعاً ، وقد تابعه في ذلك صاحب كتاب «البرهان في وجوه البيان» وقال إن الدلالات أربع هي : بيان الأشياء بذواتها وإن لم تبين بلغاتها وبيان الاعتقاد وهو الذي يحصل في القلب عن أعمال الفكر ، وبيان العبارة وهو النطق باللسان ، والبيان بالكتاب ليبلغ من بُعد أو غاب .

وهذه قريبة الصلة مما ذكره الجاحظ ، فإن النُصْبَة هي بيان الاعتبار ويدخل فيها بيان الاعتقاد ، لأنه ثمرة بيان الاعتبار ونتيجته في القلب ، ودلالة اللفظ هي البيان الثالث ودلالة الخط هي البيان الرابع (٣) . والبيان الثالث العبارة هو الذي يتصل بالبيان بمعناه الاصطلاحي ، وقد تحدث المؤلف عن

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ١٠٦ ، وعميون الاخبار ج ٢ ص ١٧٣ ، والعمدة ج ١ ص ٢٤٩ .

(٢) البيان والتبيين ج ١ ص ٧٦ .

(٣) تنظر مقدمتنا لكتاب البرهان ص ٣٢ .

الفصل الثاني

التشبيه

التشبيه من أقدم صور البيان ووسائل الخيال، وأقربها إلى الفهم والاذهان وقد مرَّ هذا الفن كغيره من الفنون الأخرى بمراحل كثيرة تطور فيها وأصبح من أهم وسائل البيان عند العرب بعد أن تأنقوا، ودخل الترفُّ حياتهم وازدهرت حضارتهم، وعمَّ العمران .
تعريفه :

جاء «في لسان العرب» لابن منظور: «الشَّبْه والشَّبَبَة والشَّبِيه : المِثْل ، وألجمع أشباه . وأشبه الشيءُ الشيءَ : ماثله ...
والتشبيه : «التمثيل». وجاء في مادة «مثل» : مثل : كلمة تسوية : يقال هذا مثله ومثله كما يقال شَبِهَهُ وشَبَّهَهُ بمعنى ...
والمِثْل : الشَّبَبَة ، يقال : مثل ومِثْل وشَبِه وشَبَّه بمعنى واحد .
إنَّ المعاجم اللغوية لم تحدِّدْ معنى التشبيه اصطلاحاً وإنما حددته لغة ولم تفصل بينه وبين التمثيل بل نصت على أنَّهما شيء واحد ، وإلى ذلك ذهب الزمخشري صاحب تفسير «الكشاف»، وابن الأثير الذي نعى على العلماء السابقين الذين فرَّقوا بينهما وعقدوا لكلٍ منهما باباً مع أنَّهما شيء واحد ، لأنَّه لا فرَّقَ بينهما في أصل الوضع اللغوي يقال : شبهت هذا الشيء بهذا الشيء ، كما يقال : مثله به (١) .

ولكنَّ علماء البلاغة الآخرين ميزوا بين المصطلحين واهتموا بتعريف التشبيه اهتماماً كبيراً وإنَّ كانت معظم تعريفاتهم متفقة في معناه ، وإنَّ اختلاف طرائق التعبير . وتكاد تعريفاتهم تكون واحدة وهي أنَّ التشبيه ربط بين شيئين أو أكثر في صفة من الصفات أو أكثر ، ولعلَّ عبارة القرويَّي تختصر معظم تلك التعريفات فالتشبيه هو «الدلالة على مشاركة أمرٍ لآخر في معنى» (٢) .

(١) المثل السائر ج ١ ص ٣٨٨ .

(٢) الايضاح ص ٢١٣ .

أركانها :

للتشبيه أربعة أركان هي : المشبه ، والمشبّه به ، وأداة التشبيه ، ووجه الشبه . ويطلق على المشبه والمشبّه به اسم طرفي التشبيه وهما الركنان الأساسيان في التشبيه وينقسم باعتبارهما إلى أربعة أقسام :

١. أن يكونا حسيين ، أي يدرك كل واحد منهما باحدى الحواس الخمس الظاهرة (البصر والسمع والشم والذوق واللمس - ومن ذلك قوله تعالى : «وعندهم قاصرات الطرف عين» . كأنهن بيّض مكنون (١) .
٢. أن يكونا عقليين لا يدرك واحد منهما ، بالحس بل بالعقل ، كتشبيه العليم بالحياة ، والجهل بالموت ، والفقر بالكفر .
٣. تشبيه المعقول بالمحسوس كقوله تعالى : «مثل الذين اتخذوا من دُونِ اللَّهِ أولياءَ كَمَثَلِ العنكبوت» (٢) ، وقوله : «مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح» (٣) . ومنه تشبيه الحجة بالنور .
٤. تشبيه المحسوس بالمعقول . ومنه قول القاضي التنوخي :

وكان النجوم بين دجائها
سنن لاح بينهن ابتداء

وقول الآخر :

رب ليل كآته أملبي في
ك رقد رحتُ عنك بالحيرمان .

وذكر البلاغيون لونين من التشبيه :

١. الخيالي : وهو المعدوم الذي فرض مجتمعاً من عدة أمور كل واحد منها يدرك بالحس ، كقول الشاعر :

وكان محمراً الشقيق إذا
تصوّب أو تصعد

(١) سورة الصافات ، الآيتان ٤٨ - ٤٩ .
 (٢) سورة العنكبوت ، الآية ٤١ .
 (٣) سورة ابراهيم ، الآية ١٨ .

أعلامُ ياقوتِ نُشِرنَ على

رماحٍ من زبرجَدٍ

٢. الوهمي : وهو ما لا وجود له ولا جزائه كلها أو بعضها في الخارج ولو وجد لكان مُدْرَكاً بإحدى الحواس الخمس ، كقوله تعالى : « إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ . طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رِئُوسُ الشَّيَاطِينِ » (١) ومنه قول امرئ القيس :

أَيْقَتُلُنِي وَالْمَشْرِفِيُّ مَضَاجِعِي

ومسنونه " زُرُقٌ كَأَنْيَابِ أَعْوَالِ

والركن الثالث من اركان التشبيه الاداة ، وهي اللفظة التي تدل على المماثلة والمشاركة . وهي ثلاثة أنواع :

١. أسماء : وهي : مثل وشبيه وشبيه ومثيل وغيرها . ومثالها قوله تعالى : « مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ » (٢) ، وقوله : « مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً » (٣).
٢. أفعال : وهي : حسب ، وخال ، وظن ، ويشبه ، وتشابه ، وغيرها ومثاله قوله تعالى : « يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً » (٤) ، وقوله : « يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُمْ تَسْعَى » (٥) ، وقوله : « إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا » (٦) .
٣. حروف : وهي الكاف كقوله تعالى : « كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ » (٧) وقوله : « كَدَّ أَبِ آلِ فِرْعَوْنَ » (٨) وقوله : « كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ » (٩).

(١) سورة الصافات ، الآيات ٦٤ - ٦٥ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية ١١٧ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ١٧ .

(٤) سورة النور ، الآية ٣٩ .

(٥) سورة طه ، الآية ٦٦ .

(٦) سورة البقرة ، الآية ٧٠ .

(٧) سورة ابراهيم ، الآية ٧٠ .

(٨) سورة آل عمران ، الآية ١١ ، والانفال ، الآية ٥٢ والآية ٥٤ .

(٩) سورة البقرة ، الآية ٢٦٤ .

و«كَأَنَّ» ، ومثال المخففة قوله تعالى: «كَأَنَّ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ» (١)
ومثال المشددة قوله تعالى : «طَلَعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ» (٢).

وجاءت «كذلك» للتشبيه كقوله تعالى: «وهو الذي يُرْسِلُ الرِّيحَ بِشُرْأٍ
بين يَدَيْ رَحْمَتِهِ ، حتى إذا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِنَاهُ لَبَدًا مِيتًا فَأَنْزَلْنَا
بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» (٣)
والبلاغيون يقسمون التشبيه باعتبار الاداة إلى :

١. مُرْسَلٌ : وهو التشبيه الذي ذكرت فيه الأداة كالأثلة السابقة ،
وكقول المتنبي :

كالبدرِ من حيثِ النفسِ رأيتَه
يُهدي إلى عينك نوراً ثاقباً

كالشمسِ في كبدِ السماءِ وضوؤها
يغشى البلادَ مشارقاً ومغارباً

كالبجرِ يقذفُ للقريبِ جواهرأ
جوداً ويبعثُ للبعيدِ سحائباً

٢. موكد وهو ما خفت منه الأداة ، كقول المتنبي :

بَدَتْ قَمراً ومالت غُصنَ بان
وفاحت عنبراً ورتت غزالاً

وقوله :

ترنو السِيَّ بعينِ الطَّبِي مَجْهَشَةً
وتمسحُ الطُّلَّ فوق الوردِ بالعَنَمِ (٤)
والركن الرابع وجه الشبه ، وهو الوصف المشترك بين المشبه والمشبه به

(١) سورة يونس الآية ١٢ .

(٢) سورة الصافات ، الآية ٦٥ .

(٣) سورة الاعراف ، الآية ٥٧ .

(٤) العنم : شجر له ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضوب .

تحقيقاً كتشبيه الشعر باللبل في السواد ، أو تخيلاً كتشبيه السيرة الحسنة
بالمسك ، والأخلاق الحميدة بالعنبر .

وينقسم التشبيه باعتبار وجهه إلى قسمين :

١. مُجْمَلٌ : وهو التشبيه الذي لم يذكر وجهه ، كقول النابغة الذبياني :

فانك شمسٌ والميلوك كواكبٌ
إذا طلعت لم يبدُ منهن كوكبٌ

وقول الآخر :

إنما الدنيا كبيت
تسجُه من عنكبوت

٢. مُفَصَّلٌ : وهو ما ذكر فيه وجه الشبه ، كقول أبي العلاء المعري :

أنت كالشمس في الضياء وإن جا
وزت كيوان في علو المكان (١)

وينقسم - أيضاً - باعتبار وجهه إلى تشبيه غير تمثيلي وهو ككثير من الأمثلة
السابقة ، وتشبيه تمثيلي .

التمثيل :

تحدث أبو عبيدة عن التمثيل وهو عنده التشبيه أو مجاز التمثيل ، قال في
تفسير قوله تعالى : «على شفا جرف هار» (٢) : ومجاز الآية مجاز التمثيل ،
لأن ما بنوه على التقوى أثبت أساساً من البناء الذي بنوه على الكفر والنفاق ،
فهو على شفا جرف ، وهو ما يجرف من سيول الأودية فلا يثبت البناء عليه» (٣) .

(١) كيوان : اسم زحل .

(٢) سورة التوبة ، الآية ١٠٩ .

(٣) مجاز القرآن ج ١ ص ٢٦٩ .

غير ذلك ، ولعل عبد القاهر الجرجاني كان من أوائل الذين وضعوا حداً
فاصلاً بين التشبيه والتمثيل حينما قسم التشبيه إلى ضربين :

١. أن يكون تشبيه الشيء بالشيء من جهة أمرٍ بين لا يحتاج فيه إلى تأويل
كتشبيه الشيء بالشيء من جهة الصورة والشكل ، وكالتشبيه من جهة اللون ،
ومن جهة الصورة واللون ، أو من جهة الهيئة . ويكون الوجه فيه عقلياً حقيقياً أي
ثابتاً في ذات الموصوف كالإخلاق والغرائر والطباع . والشبه في هذا
لا يجري فيه التأويل ولا يفتقر إليه في تحصيل . وقد يسمى هذا الضرب
« التشبيه » أو « التشبيه الظاهر » أو « التشبيه الأصلي الحتميتي » .

٢. أن يكون التشبيه محصلاً بضرب من التأويل مثل : « هذه حجة كالشمس
في الظهور » فذلك تشبيه لا يتم إلا بتأويل وذلك أن نقول : حقيقة ظهور الشمس
وغيرها من الاجسام أن لا يكون دونها حجاب ونحوه مما يحول بين العين
ورؤيتها ولذلك يظهر الشيء لنا . ولا يظهر إذا كنا من وراء حجاب أو لم يكن
بيننا وبينه ذلك الحجاب . ثم نقول : إن الشبهة نظير الحجاب فيما يدرك
بالعقول لأنها تمنع القلب رؤية ماهي شبهة فيه كما يمنع الحجاب العين أن
تري ما وراءه ، ولذلك توصف الشبهة بانها اعترضت دون الذي يروم القلب
إدراكه ويصرف فكره للوصول إليه من صحة حكم أو فساده . فاذا ارتفعت
الشبهة وحصل العلم بمعنى الكلام الذي هو الحججة على صحة ما ادعى من الحكم
قيل : « هذا ظاهر كالشمس » أي : ليس ههنا مانع عن العلم به ولا للتوقف
والشك فيه مساغ ، وإن المنكر إما مدخول في عقله أو جاحد مباحث ومسرف
في العناد ، كما ان الشمس الطالعة لا يشك فيها ذو بصر ولا ينكرها إلا من
لاعذر له في إنكاره . ونحن نحتاج إلى مثل هذا التأويل في تحصيل الشبه الذي
أثبتناه بين الحججة والشمس في حين لا تحتاج إلى ذلك في الضرب الأول من التشبيه .
ويتفاوت هذا الضرب في التأويل ، فمنه ما يقرب مأخذه ويسهل الوصول
عليه ويعطي المقادة طوعاً حتى أنه يداخل الضرب الأول الذي ليس من التأويل

الضربين ، وإن كان الأول عاماً والثاني خاصاً ، ولذلك قال إن «كل تمثيل تشبيه ، وليس كل تشبيه تمثيلاً» (١) .
ومن التشبيه قول الشاعر :

وقد لاح في الصبح الثريالمن رأى كعنفودٍ ملاحية حين نورا (٢)
وقول ابن المعتز :

كأنَّ العيونَ الرجسَ الغضَّ حولها مدهينٌ دُرٌّ حشوهن عقيقُ (٣)
وقوله :

وأرى الثريا في السماء كأنها قدامٌ تبدت في ثياب حيدار
ولا تحتاج هذه الأبيات إلى تأويل ، لأنَّها ظاهرة ، أما التمثيل فهو بخلاف ذلك كقول ابن المعتز :

اصبر على مَضَضِ الحسو د فان صَبْرَكَ قاتلُهُ
فالنارُ تَأْكُلُ بعضها إن لم تجِدْ ما تَأْكُلُهُ
وقول صالح بن عبدالقدوس :

وإنَّ من أدبته في الصبَا
كالعودِ يُسقى الماء في غرسه
حتى تراه مُورِقاً ناضراً
بعد الذي أبصرت من بئسه

وهذه الأبيات تحتاج إلى تأويل ، ولا يمكن أن تفهم الصلة بين الاطراف إلا بضرب من التأمل وإطالة النظر .

والتمثيل الذي هو أولى أن يسمى كذلك ما لا يحصل إلا من جملة من الكلام أو جملتين أو أكثر حتى أن التشبيه كلما أوغل في كونه عقلياً محضاً كانت

(١) اسرار البلاغة ص ٨٤ .

(٢) الملاحية : العنب الابيض الطويل . نور : اضاء ، النبت : أخرج نوره وهو الزهر الابيض .

(٣) مدهان : قارورات . العقيق : خرز أحمر ميم .

الحاجة الى الجملة أكثر ، كقوله تعالى : « إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ
أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ »
حتى إذا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ ، وظنَّ أهلها أَنَّهُمْ قَادِرُونَ
عَلَيْهَا أَنَّهُمْ أَمَرْنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ ،
كذلك نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١) . فقد كثرت فيه الجمل حتى
أنا نرى في هذه الآية الكريمة عشر جمل إذا فصلت ، والشبه منتزع من
مجموعها من غير أن يمكن فصل بعضها من بعض ولا حذف شيء منها ،
فلو حذف منها جملة واحدة من أي موضع كان ، أخل ذلك بالمغزى
من التشبيه .

ولا ينبغي أن تُعَدَّ الجمل في هذا النحو بعد التشبيهات التي يُضم بعضها
إلى بعض بل بعد جمل تنسق ثانية منها على أوله وثالثه على ثانية وهكذا .
فإن ما كان من هذا الجنس لم ترتب فيه الجمل ترتيباً مخصوصاً حتى يجب
أن تكون هذه سابقة ، وتلك تالية لها ، والثالثة بعدهما . ففي قولنا
« زيدٌ كالأسد بأساً ، والبحر جوداً ، والسيف مضاءً ، والبدر بهاءً »
لا ينبغي أن ترتب هذا الترتيب دائماً بل نستطيع أن نقدم ونؤخر فيه من غير
أن تختل الصورة ، وكذلك قول الشاعر :

النشْرُ مِسْكٌ والوَجُوهُ دَنَا

نسر وأطراف الأَكْفِ عَنَّم (٢)

نستطيع أن نرتبه ترتيباً آخر لولا الوزن ، في حين لا نستطيع ذلك في الآية
الكريمة ، لأن كل جزء فيها يقود إلى الجزء الذي يليه .

ولا يريد عبد القاهر من هذا الكلام أن يكون التمثيل مركباً دائماً ، وإنما
هو - في رأيه - أرفع وأسمى وإن صرح أيضاً بأنه « التشبيه المنتزع

(١) سورة يونس ، الآية ٢٤ .

(٢) الغم : شجر له ثمرة حمراء ، يشبه بها البنان المخضوب .

أحد المتساويين على الآخر (١) . كقول أبي إسحاق الصابني :
 تشابه دمعي إذ جرى وهدامتي
 فمن مثل ما في الكأس عيني تسكب
 فوالله ما أدري أبا الخمر أسبلت
 جفوني أم من عبرتي كنت أشرّب

وكقول صاحب بن عباد :
 رقى الزجاج وراقبت الخمر
 وتشابهها فتشاكل الأمر
 فكأتما خمر ولا قدح
 وكأتما قدح ولا خمر

التشبيه المقلوب :

قد يقلب التشبيه وذلك بأن يجعل فيه المشبه مشبها به ويجعل المشبه به مشبهاً . كقول البحري :

في طلعة البدر شيء من محاسنها
 وللقضيب نصيب من تنبيها
 وقول ابن المعتز :

ولاح ضوء هلال كاد يفضحنا
 مثل القلامة إذ قصت من الظفر
 وسمى ابن جني هذا النوع « غلبة الفروع على الأصول » وقال عنه :
 « هذا فصل من فصول العربية طريف تجده في معاني العرب كما تجده في معاني
 الأعراب ، ولا تكاد تجد شيئاً من ذلك إلا والغرض فيه المبالغة » (٢) .

(١) مفتاح العلوم ص ١٦٤ ، والايضاح ص ٢٤٢ .

(٢) الخصائص ج ١ ص ٣٠٢ .

وسمّاه ابن الأثير «الطرد والعكس» وقال: «إن الغرض منه المبالغة، وهو موضع من علم البيان حسن الموقع لطيف المأخذ» (١). وسمّاه العلوي «التشبيه المنعكس» وقال عنه: «اعلم أن هذا النوع من التشبيه يرد على العكس والندور، وبابه الواسع ذو الاطراد، وإنّما لقب بالمنعكس لما كان جارياً على خلاف العادة والالف في مجاري التشبيه، وقد يقال له «غلبة الفروع على الأصول».

وكل هذه الألقاب دالة على خروجه عن المقياس المطرد والمهيج المستمر، وله موقع عظيم في إفادة البلاغة. وقد ذكره ابن الأثير في كتابه «المثل السائر» وقرره ابن جني في كتاب «الخصائص». والشرط في استعماله أن لا يرد إلاّ فيما كان متعارفاً حتى تظهر فيه صورة الانعكاس، لأنّه لو ورد في غير المتعارف لكان قبيحاً، لأنّ مطرد العادة في البلاغة على تشبيه الأدنى بالأعلى فإذا جاء على خلاف ذلك فهو معكوس (٢). والعلوي هنا يقرر متعارف عليه البلاغيون من أن المشبه به يجب أن يكون الأصل وهو الأقوى والأوضح صورةً، ولكن الشاعر قد يخرج على هذه القاعدة وهو يصور معانيه فيأتي بالتشبيهات التي لا تجري على ماقرره البلاغيون وفي ذلك إثراء لهذا الفن. وقد وقف عبدالقاهر عند هذا اللون من التشبيه وقال إنّه يفتح باباً الى «دقائق وحقائق» وذلك يجعل «الفرع أصلاً والأصل فرعاً» (٣)، وهو كثير في التشبيهات الصريحة وذلك «انهم يشبهون الشيء في حال ثم يعطفون على الثاني فيشبهونه بالاول فترى الشيء مشبهاً مرة ومشبهاً به أخرى» ومن أظهر ذلك قولهم في النجوم «كأنها مصابيح» ثم قولهم في المصابيح «كأنها نجوم» وتشبيه العيون بالرجس ثم تشبيه الرجس بالعيون كقول أبي نؤاس:

(١) المثل السائر ج ١ ص ٤٢١، والجامع الكبير ص ٩٧.

(٢) الطراز ج ١ ص ٣٠٩.

(٣) اسرار البلاغة ص ١٨٧.

لسدى نَرْجِسٍ غَضٌّ القَطَافُ كَأَنَّهُ
 إذا مَمايَحِضَاهُ العَيونَ عَيونُ
 وتشبيه الثغر بالأفاحي ثم تشبيهها بالثغر كقول ابن المعتز :
 والاقحوان كالثنائيا السُّسْرُ
 قد صَقَلَتْ أنوارُه بالقَطْرِ
 وتشبه أنوار الرياض بالنجوم كقول البحري :
 بَكَتِ السَّمَاءُ بِهَا رِذَاذَ دَموعِهَا
 فغَدَتِ تَبَسُّمٌ عَنِ نِجْمِ سَمَاءِ

ثم تشبه النجوم بالنور كقوله :
 قد أَقْدِفُ العَيْسَ فِي لَيْلٍ كَأَنَّ بِهِ
 وَشَبَّاهُ مِنَ النُّورِ أَوْ رَوْضاً مِنَ العُشْبِ
 وتشبه الدموع اذا قطرت على خدود النساء بالطل والقطر على ما يشبه الخدود
 من الرياحين كقول النابغة :

بَكَتْ لِلْفِرَاقِ وَقَدْ رَاعِيهَا
 بِكَاءُ الحَيْبِ لِبُعْدِ الدِيَارِ
 كَأَنَّ الدَمْعَ عَلَى خَدِّهَا
 بَقِيَّةُ طَلٍّ عَلَى جُلَّتَارِ

وشبيه به قول ابن الرومي :
 لَوْ كُنْتُ يَوْمَ السُّودَاعِ حَاضِرًا
 وَهِنَّ يَطْفِئْنَ غَلَّةَ الوَجْدِ
 لَمْ تَرَ إِلَّا الدَمْعَ سَاكِبًا
 تَقَطِّرُ مِنْ مَقْلَةٍ عَلَى خَدِّ
 كَأَنَّ تِلْكَ الدَمْعَ قَطْرُ نَدَى
 يَقَطِّرُ مِنْ نَرْجِسٍ عَلَى وَرْدِ

الفصل الثالث

الهجاز

الحقيقة:

اللغة «أصواتٌ يعبرُ بها كل قوم عن أغراضهم» (١) وهي مرتبطة بتطور المجتمع والفكر الانساني . واللغة العربية نشأت كغيرها من اللغات لتسد حاجة المتكلمين بها ، وكانت في أول أمرها مقتصرة على الالفاظ الوضعية التي عبّرت عما أحاط بالعربي في بيئته ثم تطورت بتطوره خلال العصور المختلفة . والكلمة حينما توضع لتدل على شيء معين تسمى حقيقة ، وهي «فعلية» بمعنى «متفَعُولَة» واشتقاقها من حقق الشيء - يحققه «أو من» حققت الشيء - أحقه إذا كنت منه على يقين . ولذلك فهي دلالة اللفظ على المعنى الموضوع له في أصل اللغة .

وللحقيقة تعريفات كثيرة منها تعريف أحمد بن فارس الذي قال إنها «الكلام الموضوع موضعه الذي ليس باستعارة ولا تمثيل ولا تقديم ولا تأخير» (٢) . وقال ابن جني: «الحقيقة ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة» (٣) . وقال السكاكي: «الحقيقة هي الكلمة المستعملة فيما هي موضوعة له من غير تأويل» في الوضع كاستعمال الأسد في الهيكل المخصوص « (٤) .

(١) الخصائص ج ١ ص ٣٣ .

(٢) الصاحبى ص ١٩٧ .

(٣) الخصائص ج ٢ ص ٤٤٢ .

(٤) مفتاح العلوم ص ١٦٩ .

وهذه التعريفات وغيرها (١) تؤدي إلى معنى واحد وهو أن الحقيقة استعمال اللفظة في وضعها الأول بحيث لا يتبادر الذهن إلى غير ذلك حينما تطلق ، كاستعمال «القلم» للدلالة على آلة الكتابة ، واستعمال «القمر» للدلالة على الكوكب المعروف .

وقد قسموا الحقيقة إلى ثلاثة أقسام : (٢)

١. الحقيقة اللغوية : وهي ما وضعها واضع اللغة ودلت على همان مصطلح عليها في تلك المواضع كالألفاظ القليلة ، والكتاب ، والقمر ، والشمس . فإذا استعملت في معناها الأصلي فإنها تكون حقيقة ، وإذا استعملت في غيره فإنها تكون مجازا .

٢. الحقيقة العرفية : وهي التي نزلت من سماها اللغوي إلى غيره بعرف الاستعمال ، وذلك الاستعمال يكون عاما وقد يكون خاصا . والعرفية العامة أن يقصر الاسم على بعض تسمياته وتخصيصه به نحو لفظ «الدابة» فإنها جارية في وضعها اللغوي على كل ما يدب من الحيوانات ثم أنها اختصت ببعض البهائم وهي ذوات الأربع من بين سائر ما يدب بالعرف اللغوي : ونحو لفظ «الخن» فإنها لكل ما استتر ثم اختصت ببعض الآنية دون غيرها مما يستقر فيه .

والحقيقة العرفية الخاصة هي التي وضعها أهل عرف خاص وجرت على السنة العلماء من المصطلحات التي تخص كل علم .

٣. الحقيقة الشرعية : وهي اللفظة التي يستفاد من جهة الشرع وضعها لمعنى غير ما كانت تدل عليه في أصل وضعها اللغوي . وهي أسماء شرعية كالصلاة والزكاة والحج وأسماء دينية كالمؤمن والكافر والفاسق .

(١) ينظر اسرار البلاغة ص ٣٢٤ ، ٣٥٥ ، والمثل السائر ج ١ ص ٥٨ ، والايضاح

ص ٢٦٥ ، والطرار ج ١ ص ٤٧ .

(٢) التفصيل في مفتاح العلوم ص ١٧٠ ، والايضاح ص ٢٦٨ ، والطرار ج ١ ص ٩١

ولا يُعنى البلاغيون بالحقيقة واقسامها كثيراً وإنما تنصب عنايةهم على المجاز وأساليبه ، لأنه هو الذي تتفاوت فيه الافهام ، ولأنه واسع الخطو فسيح المدى ، يجول فيه الادباء ويتصرفون فيه كل التصرف في حين لا يقدرُونَ أن يخرجوا في التعبير الحقيقي على المعنى اللغوي ، لأن ذلك مرتبط بالوضع الاصلي ومقيد في المعجم الذي يحدد أبعاد الكلمات .

المجاز :

المجاز فن قديم عرفه المتقدمون واستعملوه في كلامهم بعد أن تطورت اللغة وأصبحت ألفاظها الوضعية تضيق بالمعاني الجديدة . جاء في «لسان العرب» لابن منظور : « جَزَتْ الطريق ، وجاز الموضوع جوازاً ومجازاً ، وجاز به ، وجاوزه ، وأجازه غيره ، وجازه ، وجاوزه جوازا ، وأجازه ، وأجاز غيره وجازه : سار فيه وسلكه . وجاوزت الموضوع جوازا بمعنى جَزْتَه . والمجاز والمجازة : الموضوع » . فالمجاز اسم للمكان الذي يُجاز فيه كالمعاج والمزار ، وحقيقته هي الانتقال من مكان إلى مكان . وأخذ هذا المعنى واستعمل للدلالة على نقل الالفاظ من معنى إلى آخر ، وعرفوه تعريفات كثيرة فقال ابن جني وهو يعرف الحقيقة بأنها : « ما أُقِرَّ في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة ، والمجاز ما كان بضد ذلك » (١) . وقال عبد القاهر : «المجاز» «مفعَل» من جاز الشيء يجوزُه إذا تعدها وإذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة وصف بانه مجاز على معنى أنهم جازوا به موضعه الأصلي أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولاً» (٢) . وقال : وأما المجاز فكل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والاول فهى مجاز وإن شئت قلت : كل كلمة جرت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم

(١) (٢)

(١) الخصائص ج ٢ ص ٤٤٢ .

(٢) اسرار البلاغة ص ٣٥٦ .

وأوضح تقسيم انتهى إليه البلاغيون ذو تقسيم المجاز إلى :
١. عقلي . ٢. لغوي . وهو قسمان : المرسل والاستعارة .
المجاز العقلي :

وهو أن يستعمل كل واحد من الالفاظ المفردة في موضعه الأصلي ويكون
المجاز عن طريق التركيب أو الاسناد .

وهو ثلاثة اقسام :

١. ما طرفاه حقيقتان نحو «أنبَتَ الربيعُ البقلَ» ، وقوله تعالى :
« وَإِذَا تَلَيَّتْ عَلَيْهِمَ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا » (١) ،
وقوله : « رَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا » (٢) .

٢. ما طرفاه مجازيان كقوله تعالى : «فَمَا رِيحَتْ تِجَارَتُهُمْ» (٣) ، وقولهم :
«أحيا الأرضَ شبابُ الزمان» .

٣. ما طرفاه مختلفان أي ما كان أحد طرفيه - المسند أو المسند اليه - مجاز
كون الآخر ، كقوله تعالى : «تُوْنِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِأَذْنِ رَبِّهَا» (٤) ،
وقولهم : «أحيا الارضَ الربيعُ» و «أحيتني رؤيتك» أي : آتستني وسررتني .
ومنه قول المتنبي :

وتُحيي له المالَ الصوارمُ والقننا

ويقتل ماتحيي التيسمُ والجدنا

ولا بد له من قرينة إما لفظية كقول أبي النجم :

قد أصبحتُ أمُّ الخيَارِ تَدْعِي

عليّ ذنباً كله لم أصنع

- (١) سورة الانفال ، الآية ٢ .
- (٢) سورة الزلزلة ، الآية ٢ .
- (٣) سورة البقرة ، الآية ٦ .
- (٤) سورة البقرة ، الآية ٢٥ .

مِنْ أَنْ رَأَتْ رَأْسِي كدراً مِنَ الْأَهْلِ
مَيَّزَ عَنَسَهُ قُنُزُوعاً عَنْ قُنُزُوعٍ (١)
جَدَّ بِي السَّيَالِي : ابْطِشِي أَوْ أُسْرَعِي

وهذا مجاز بدليل قوله بعده :

أَفَنَاهُ قَيْلُ اللَّهِ لِلشَّمْسِ اطَّلَعَسِي
حتى إذا وافاك أفقٌ فارْجِعِي
أو غير لفظية كاستحالة صدور المسند من المسند إليه أو قيامه به عقلاً مثل :
«محبتك جاءت بي اليك» أو عادة «مثل هزم الخليفة الجند»، وكصدور الكلام
من الموحَّد في مثل قول الشاعر :

أَشَابَ الصَّغِيرَ وَأَفْنَى الكَبِيرَ
كَدَّرُ الغَدَاةِ وَمَرُّ العَشِي

ولا بدَّ لهذا النوع من المجاز من علاقة ، وأشهر علاقته :

١. المفعولية : فيما بُني للفاعل وأسند إلى المفعول به الحقيقي ، كقوله تعالى :

«عيشة راضية» (٢) ، وهي مرضية .

٢. الفاعلية : فيما بُني للمفعول وأسند للفاعل الحقيقي مثل «سَيْلٌ مُفْعَمٌ» ،

لأنَّ السيل هو الذي يُفْعِمُ أي : يَمَلَأُ .

٣. المصدرية : فيما بُني للفاعل وأسند إلى المصدر مجازاً مثل «شِعْرٌ شَاعِرٌ»

فقد أسند «شاعر» إلى ضمير المصدر وحقه أن يسند إلى الفاعل أي «الشاعر»

لأنه هو الفاعل الحقيقي . ومثله قول أبي فراس الحمداني :

سَيَدُكُرْنِي قَوْمِي إِذَا جَدَّ جَدُّهُمُ
وَفِي اللَّيْلَةِ الظُّلْمَاءِ يُفْتَقَدُ البَدْرُ

فقد أسند «جد» إلى «الجد» وهو ليس بفاعل له بل فاعله الجاد .

(١) القنزع : الشعر حوالي الراس .

(٢) سورة القارعة ، الآية ٧ .

الزمانية : فيما بُني للفاعل وأسند للزمان مثل «تَهَارَهُ صَائِمٌ» «وَلَيْلَهُ نَائِمٌ» ، لأنَّ النهار لا يصوم والليل لا يقوم وإنما يُصام في النهار ويُقام في الليل ، والفاعل الحقيقي هو الصائم والقائم . ومنه قوله تعالى : «والضُّحَى . والليل إذا سَجَا» (١) ، والليل لا يسكن وإنما تسكن حركات الناس فيه .
ومنه قول الشاعر :

لقد لُمْتِنَا يَا أُمَّ غِيلَانَ فِي السُّرَى
وَنِحْمَتٍ وَمَا لَيْلُ الْمُطِيِّ بِنَائِمٍ

ومنه : «من سره زمن ساءت أزمانه» ، فقد أسندت الاساءة والسرور إلى الزمن وهو لم يفعلهما بل كانا واقعين فيه على سبيل المجاز .

٥. المكانية : فيما بُني للفاعل وأسند للمكان كقوله تعالى : «وَحَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ» (٢) ، والنهر لا يجري ، لأنه مكان جري الماء ، وإنما يجري مافيه وهو الماء .

٦. السببية : فيما بُني للفاعل وأسند للسبب مثل : «بني الحاكم المدينة» والحاكم لم يبن ، وإنما بنى العمال بسببه أو بأمره . ومنه قول الشاعر :

حِطَّتِي لِمَنْ مَعَشَرَ أَفْنَى أَوَائِلَهُمْ
قِيلُ الْكِمَاةِ : أَلَا أَيْنَ الْمُحَامُونَا
والقبيل لم يُفْنِ ، وإنما الذي أفنى هو الشجعان .

والمجاز العقلي كثير في كلام العرب وكتاب الله العزيز ، وقد أشار إلى ذلك البلاغيون المتقدمون ، ولذلك فهو أساوب مهم من أساليب التعبير في البيان العربي .

(١) سورة الضحى ، الآيتان ١ - ٢ .

(٢) سورة الانعام ، الآية ٦ .

المجاز المرسل :

يكون المجاز اللغوي في نقل الالفاظ من حقائقها اللغوية إلى معانٍ أخرى بينها صلة ومناسبة ، وقد يسمى المجاز المفرد . وقد قسمه القزويني إلى مُرْسَلٍ واستعارة ، لأنَّ العلاقة المصححة إنَّ كانت تشبيه معناه بما هو موضوع له فهو استعارة وإلاَّ فهو مجاز مُرْسَل . وعَرَّفَ المُرْسَل بقوله : « هو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملائمة غير التشبيه » (١) كاليد إذا استعملت في النعمة أو في القدرة .

وسُمِّي هذا النوع مرسلًا ، لأنَّ الارسال في اللغة الاطلاق ، والمجاز الاستعاري مقيد بادعاء أنَّ المشبه من جنس المشبه به ، والمرسل مطلق عن هذا القيد . وقيل : إنَّما سُمِّي مُرْسَلًا لارساله عن التقييد بعلاقة مخصوصة بل رُدِّدَ بين علاقات بخلاف المجاز الاستعاري فانه بعلاقة واحدة وهي المشابهة (٢) .

ولم نجد أحداً اطلق اسم المجاز المرسل على هذا النوع قبل السكاكي (٣) ، وكان القدماء قد ذكروا أنواعه وإنَّ لم يسمّوه . ومنهم الفراء الذي قال في قوله تعالى : «فَلْيَبْدَعْ نَادِيَهُ» (٤) «والعرب تقول : النادي يشهدون عليك والمجلس ، يجعلون النادي والمجلس والمشهد والشاهد ، القوم قوم الرجل» (٥) . وأشار الآمدي إلى السببية والمجاورة وهي من علاقات المجاز المرسل كقولهم للمطر : «سما» وقولهم مازلنا نطأ السماء حتى أتيناكم» . وقال الشاعر :

إذا سَتَمَطَّ السماء : «ب...أرضٍ قوم
رعيناه وإن كانوا غضابا

(١) الايضاح ص ٢٧٠ .

(٢) حاشية الدسوقي - شروح التلخيص ج ٤ ص ٢٩ .

(٣) مفتاح العلوم ص ١٩٥ .

(٤) سورة الملئ ، الآية ١٧ .

(٥) معاني القرآن ج ٣ ص ٢٧٩ .

السكاكي - فيما نعلم - أول من أطلق التسمية وتابعه بدر الدين بن مالك،
والقزويني، وغيرهما من البلاغيين. وتوسع ابن أديم الجوزية والنسوي
والزركشي في بحث هذا النوع وجمعوا له علاقات كثيرة ومن أشهرها:

١. الجزئية: وهي تسمية الشيء باسم جزئه كالعين في الرقبة، وكقوله
تعالى: «قَسَمَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا» (١) أي: صَلَّ، وقوله: «فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ
مُؤْمِنَةٌ» (٢) أي: تحرير عبد مؤمن وقوله: «وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ
وَالْإِكْرَامِ» (٣) أي: ذاته. وقوله: «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ» (٤)،
وقوله: «وَجْهٌ يُومِئُ خَاشِعَةً» عاملة ناصبة (٥) أي: الأجساد. وقوله: «وَاضْرِبُوا
مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ» (٦) أي: الأيدي. وقوله: «وَيَحذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ» (٧)
أي: إياه.

ومنه قول الشاعر:

وَكَمْ عَلَّمْتُهُ نَظْمَ الْقِسْوَانِي
فَلَمَّا قَالَ قَافِيَةً هَجَانِي

أي: الشعر.

٢. الكلية: فيما إذا ذكر الكل وأريد الجزء كقوله تعالى: «يَجْعَلُونَ
صَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ» (٨) أي: أناملهم. وقوله: «وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا

(١) سورة المزمل، الآية ٢.

(٢) سورة النساء، الآية ٩٢.

(٣) سورة الرحمن، الآية ٢٧.

(٤) سورة القصص، الآية ٨٨.

(٥) سورة انفاسية، الآية ٣.

(٦) سورة الانفال، الآية ١٢.

(٧) سورة آل عمران، الآية ٣٠.

(٨) سورة البقرة، الآية ١٩.

أيديهما» (١) أي : بعض اليد الذي هو الرسغ. وقوله : «ومن لم يَطْعَمْهُ» (٢) أي : لم يذقه .

٣. المسببية : بأن يطلق لفظ السبب ويراد المسبب كقوله تعالى : «يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ» (٣) أي : قدرته فان اليد سببها .
وكقول الشاعر :

لَهُ أَيَادٍ عَلَيَّ سَابِغَةٌ
أَعَدُّ مِنْهَا وَلَا أَعْدِدُهَا

أي : نَعَم ، لأن الأيدي سبب فيها .

٤. المسببية : فيما اذا ذكر لفظ المسبب وأريد السبب ، كقوله تعالى : «وَيُنزِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا» (٤) أي : مطراً هو سبب الرزق . وقوله : «إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا» (٥) أي : مالا تنسب عنه النار .

٥. السبب : وهو اعتبار ما كان أي تسمية الشيء باسم ما كان عليه كقوله تعالى : «وَأَتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ» (٦) أي : الذين كانوا يتامى . وقوله : «إِنَّهُ مِنْ يَأْتِ رَبِّهِ مُجْرِماً» (٧) ، سماه مجرماً باعتبار ما كان عليه في الدنيا من الاجرام .

٦. الاستعداد : وهي اعتبار ما يكون ، أي : اطلاق اسم الشيء على ما يؤول اليه كقوله تعالى : «إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا» (٨) ، وقوله : «إِنَّكَ مَيِّتٌ

- (١) سورة المائدة ، الآية ٣٨ .
- (٢) سورة البقرة ، الآية ٢٤٩ .
- (٣) سورة الفتح ، الآية ٢٠ .
- (٤) سورة غافر ، الآية ١٣ .
- (٥) سورة النساء ، الآية ١٠ .
- (٦) سورة النساء ، الآية ٢ .
- (٧) سورة طه ، الآية ٧٤ .
- (٨) سورة يوسف ، الآية ٣٦ .

« مسائل القرية التي كنا نعيش فيها »

٢٣

- وانهم مبيتون» (١) ، وقوله : «ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً» (٢) .
٧. المحلية : فيما اذا ذكر لفظ المحل وأريد به الحال فيه ، كقوله تعالى : «فليندع ناديه» (٣) أي : المجتمعين في النادي . وقوله : «يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم» (٤) أي : بألسنتهم ، لأن القول عاوةً ، ولا يكون إلا بغيره .
٨. الحسالية : وهي عكس الساقية ، فيما اذا ذكر لفظ الحال وأريد به المحل كقوله تعالى : «وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون» (٥) ، أي : في جنته التي تحل فيها الرحمة . وقوله : «عندوا زينتكم عند كل مسجد» (٦) ، أي : لباسكم لحلول الزينة فيه .
٩. الآلية : فيما اذا ذكر اسم الآلة وأريد الأثر الذي ينتج عنه كقوله تعالى : «واجعل لي لسان صدق في الآخرين» (٧) أي : ذكراً حسناً ، واللسان أداة الذكر . وقوله : «تجري بأعيننا» (٨) «أي يصرأى مثلنا» . وقوله : «وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه» (٩) أي : بلغة قومه .
١٠. المجاورة : نحو «نحلت الراوية» أي السقاء ، والراوية في الأصل للبعير الحامل لها وسُميت باسمه لكونه حاملاً إياها أو مجاوراً لها عند الحمل . ومن المجاورة الذهنية التغليب مثل : «قابلت أبوبك» . ومنه قوله تعالى : «إلا امرأته كانت من الغابرين» (١٠) ، أي : الغابرات .

- (١) سورة الزمر ، الآية ٣٠ .
- (٢) سورة نوح ، الآية ٢٧ .
- (٣) سورة العلق ، الآية ١٧ .
- (٤) سورة آل عمران ، الآية ١٦٧ .
- (٥) سورة آل عمران ، الآية ١٠٧ .
- (٦) سورة الاعراف ، الآية ٣١ .
- (٧) سورة الشعراء ، الآية ٨٤ .
- (٨) سورة القمر ، الآية ١٤ .
- (٩) سورة ابراهيم ، الآية ٤ .
- (١٠) سورة الاعراف ، الآية ٨٣ ، وسورة العنكبوت ، الآية ٣٢ .

الاستعارة

انه لغوي» (١) ، ورأى أن الاستعارة مجاز لغوي والى ذلك ذهب السكاكي والقزويني ، وغيرهما من البلاغيين ، بل أنكر السكاكي المجاز العقلي وسلكه في الاستعارة المكتنية ، ومعنى ذلك أن المجاز لغوي كله .

تعريفها :-

لعل الجاحظ (- ٥٢٥٥هـ) أول من عرفها بقوله : «الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه» (٢) ، وهذا تعريف لغوي ليس فيه حصر لأنواعها .

وقال ابن قتيبة : «فالعرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة إذا كان المسمى بها بسبب من الأخرى أو مجاوراً لها أو مشاكلاً» (٣) . وهذا تعريف ينطبق على المجاز كله ولاسيما المرسل الذي من علاقاته السببية والمجاورة ويؤكد هذا المعنى العام لتعريفه الأمثلة التي ذكرها كقول الشاعر :

إذا سَقَطَ السماءُ بأَرْضٍ قَـمُومٍ
رَعِيناهُ وإنْ كانوا غَضابا

وقولهم للنبات «نوء» وللمطر «سما»
وقال ثعلب : «هو أن يُستعار للشيء اسم غيره أو معنى سواه» (٤) .
وقال ابن المعتز : إنها «استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء عرف بها» (٥) .

وبدأ تعريف الاستعارة بعد هؤلاء يأخذ طابعا علميا واضحا يختلف عما سبق ، وقد عرفها القاضي الجرجاني بقوله : «الاستعارة ما اكتفى فيها بالاسم المستعار عن الاصل ، ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها . وملاكها تقريب

(٥٧)

(١) نهاية الإيجاز ص ٨٤

(٢) البيان والتبيين ج ١ ص ١٥٣

(٣) تأويل مشكل القرآن ص ١٠٢

(٤) قواعد الشعر ص ٤٧

(٥) البديع ص ١٧

قريبتها :

لابد أن تكون للاستعارة قرينة ، لأنه اذا قيل : «رأيت أسداً» والمراد الرجل الشجاع فان هذا القول لا يفهم منه إلا الحيوان المعروف ، ولكن إذا كانت هناك قرينة تدل على أن المراد الرجل الشجاع علم أنه استعارة ، كأن يقال : «رأيت أسداً يقاتل الأعداء» أو «رأيت أسداً يُحيي الجمهور» وما أشبه ذلك . والقرينة إما معنى واحد مثل «رأيت أسداً يرمي» أو أكثر كقول بعض العرب :
فان تعافوا العدلَ والايمانا

فان في أيماننا نيرانا

أي : سيوفا تلمع كأنها شعلُ نيران ، كما قال الآخر :

ناهضتُهُمُ والبارقاتُ كأنها

شُعَلٌ على أيديهم تتلَهَبُ

فقوله : «تعافوا» باعتبار كل واحد من تعلقه بالعدل وتعلقه بالايمان قرينة لذلك لدلالته على أن جوابه : انهم يحاربون ويقسرون على الطاعة بالسيف . أو معانٍ مربوط بعضها ببعض كما في قول البحري :

وصاعقةٍ من نصله تنكفي بها

على أَرؤس الأقرانِ خمَسُ سحائب

عنى «خمسة سحائب» أنامل المدوح فذكر أن هناك صاعقة ثم قال : «من نصله» فبين أنها من نصل سيفه ، ثم قال : «على أَرؤس الأقران» ثم قال «خمسة» فذكر عدد أصابع اليد ، فبان من مجموع ذلك غرضه . (١)
وقد تكون القرينة حالية تفهم من سياق الكلام ، وهذا هو الغالب الأعم .

أقسامها :

لم يُقسَم الأوائِل الاستعارة إلى الاقسام الكثيرة التي نجدها عند المتأخرين ، بل خلط بعضهم بينها وبين أنواع المجاز الأخرى . وكان تقسيم عبد القاهر

(١) دلائل الاعجاز ص ٢٣٢ ، والايضاح ص ٢٨٨ .

بداية العناية بذلك فقد قَسَمَهَا إلى مفيدة وغير مفيدة (١) . ويريد بالمفيدة ما كان لنقلها فائدة وهي عمدة هذا الفن ومداره . ويريد بغير المفيدة مالا يكون لها فائدة في النقل .

ثم قَسَمَهَا إلى استعارة في الاسم واستعارة في الفعل ، وأشار إلى ماسَمِّي فيما بعد استعارة تصريحية واستعارة مكنية وتحدث عن صلتهما بالتشبيه والتمثيل . وكانت هذه الأقسام عمدة البلاغيين المتأخرين كالرازي ، والسكاكي والقزويني ، وشرّاح التلخيص الذين قَسَمُوا إلى أقسام كثيرة ولكن أهم ذلك تقسيمها إلى تصريحية ومكنية .

١. الاستعارة التصريحية : وهي ما صرح فيها بلفظ المشبه به دون المشبه ، كقوله تعالى : « كتاب أنزلناه إليك لتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ » (٢) ، أي : من الضلالة إلى الهدى ، فقد استعيرت الظلمات للضلال لتشابههما في عدم اهتداء صاحبهما ، وكذلك استعير لفظ النور للإيمان لتشابههما في الهداية ، والمستعار له وهما الضلال و الإيمان كل منهما محقق عقلا .
ومنها قول المتنبي :

ففي الخدِّ إنَّ عَزَمَ الخَليطُ رَحِيلاً
مَطَرٌ تَزِيدُ به الخدودُ نحولاً
وقد قرن الدمع بالمطر ثم حذفه وأبقى المشبه به وهو المطر .
وقوله :

وأقبلَ يمشي في البساطِ فمادَرَى
إلى البحرِ يَسَعَى أم إلى البدرِ يرتقي
وقد ربط سيف الدولة بالبحر ، فالشبهه وهو الممدوح محذوف والمأشبه به «البحر» وهو مذكور .

ومنها قول ديك الجسن :

(١) اسرار البلاغة ص ٢٩ .

(٢) سورة ابراهيم ، الآية ١ .

(٣) لَطَامَنْتِ التَّمَنَاعَ وَلَمْ تَسْرَاعِي
وَاسْبَغْتَ الْقُنَانَ عَلَى الْبَنَانِ (١)

وروى غيره : الكمامَ على البنان .
قال أبو علي (٢) : أهل السهل يُسمون الكمم القنان ،
والجمع آقنة .
قال : ولا يُعرف في كلامنا غيره .

٣٩١ * وَأَنْشَدَنِي لِبَعْضِ بَنِي قَشِيرٍ ، فِي نَسَاءِ بَنِي الْمُحَرِّمِ مِنَ الْحَرِيشِ (٣)
وَلَمْ يُسَمِّهِ :

المكثية ! // (١) لو أن المحرّيات كلّمتهن أعظمى / ١٥٣
وقدمت لارتدت إلى حياتي

(٢) أَحَبُّ الْمُحَرِّياتِ حُبًّا أَظْنُهُ
سَيُعَقَّبُ سَقْمًا أَوْ يَكُونُ وَفَاتِي

(٣) فَكَمَ فِي الْمُحَرِّياتِ مِنْ ذَاتِ شُوذَرٍ
يَطِيرُ عَنِّي ذُكْرُهَا كَسَلَاتِي (٤)

(٤) (الطويل)
٣٩٢ * وَأَنْشَدَ فِي الْقَطَا (٥) :

(١) لَهُ أَجْنِحَاتٌ آزِيَاتٌ كَأَنَّهَا
شَوَاذِرٌ أَنْبَتَهَا الثُّدِيُّ النَّوَاهِدُ (٦)

(١) قنان القميص وكنة وقنة : كمة : نفس المصدر (قنن) ٢٢٩/١٧

لم أجد الابيات في المصادر

(٢)

أبو علي الهجري .

(٣) نسبة إلى الحرّيش بن تمب (أخي عقيل) بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

انظر التنبيه والاشراف ٢٣٥ ، جمهرة انساب العرب ٢٧١

(٤) الشوذر : ثوب تجتاه المرأة والجارية إلى طرف عضدها .

انظر اللسان (شذر) ٦٧/٦

لم أجد الابيات ولا قائلها في المصادر الادبية .

(٥)

أبو الميمون القشيري .

(٦) في (ب) لها لم أجد البيت في المصادر المتوفرة .

الكسبة

في الوهم ثم تردف بذكر الاستعارة له ايضاحاً لها وتعريفاً لحالها كالبيت المشهور:

وإذا المنية أنشبت أظفارها

ألفيت كل نيممة لا تنفع

وهو من أمثلة الاستعارة المكنية ولذلك قالوا إن التخيلية مرتبطة بها بل هي قرينتها تخالفاً للسكاكي الذي ذهب إلى أن قرينة المكنية تارة تكون تخيلية كالبيت السابق ، وتارة تكون حقيقية أي مستعارة لأمر محقق كما في قوله تعالى: «وقيل يا أرض ابلعي ماءك» . (١)

ويتضح ذلك في قوله: «والمصرح بها تنقسم إلى حقيقية وتخيلية ، والمراد بالتحقيقية أن يكون المشبه المتروك شيئاً وهمياً محضاً لا تحقق له إلا في مجرد الوهم» (٢) . ومعنى ذلك أن لاتلازم بين المكنية والتخيلية عنده بل يوجد كل منهما بغير الآخر . واستدل على انفراد التخيلية عن المكنية بقول أبي تمام:

لاتسقينني ماء الملام فانتسني

صَبُّ قَدْ اسْتَعْدَبْتُ مَاءَ بَكَائِي

فانه قد توهم أن للامامة شيئاً شبيهاً بالماء فاستعار اسمه استعارة تخيلية غير تابعة للمكنية (٣) .

وليس في هذا الخلاف بين البلاغيين كبير أثر في روعة الاستعارة وجمالها، وليس في كثرة المصطلحات ما ينفع في إيضاح الصور البيانية ، ويمكن أن ترد الاستعارة الحقيقية إلى التصريحية ، وترد الاستعارة التخيلية إلى المكنية ، وبذلك نقل من المصطلحات التي لاتقدم فائدة كبيرة مثلما تقدمها النصوص الأدبية الرفيعة وتحليلها وايضاح ما فيها من فنون بلاغية .

(١) سورة هود ، الآية ٤٤ .

(٢) مفتاح العلوم ص ١٧٦ .

(٣) مفتاح العلوم ص ١٨٣ .

بلاغتها :

الاستعارة من أساليب العرب القديمة وتقف مع التشبيه في التصوير الأدبي وإن كانت أكثر منه تخيلاً . وقد جاءت صور كثيرة منها في الشعر الجاهلي وكتاب الله وأحاديث نبيه - صلى الله عليه وسلم - ، وحفل الشعر العربي بعد ذلك بأمثلة كثيرة منها .

وقد حظيت باهتمام كبير من الشعراء العباسيين وكانت أحد أوجه الخلاف بين القدماء والمحدثين ، وثارت زوبعة عنيفة على أبي تمام ، لأنه خرج على عمود الشعر ، وكانت الاستعارة أحد تلك الأعمدة ، وعبأوا عليه كثيراً من الاستعارات ، من ذلك قوله : (١)

يادَهْرُ قَوْمٍ مَن أَخْدَعِيكَ فَقَدْ
أضَجَجْتَ هَذَا الْأَنَامَ مَن خُرُقِكَ (٢)

وقوله :

فَضَمَّرَبْتُ الشِّتَاءَ فِي أَخْدَعِيهِ
ضربةٌ غادرته عوداً ركوباً (٣)

قال الآمدي معلقاً على البيت الأول : « أي ضرورة دعته إلى الأخدعين ؟ وقد كان يمكنه أن يقول : « من اعرجاجك » أو « برم مروج صنعك » أو « يادهر أحسن بنا الصنيع » لأن الأخرق هو الذي لا يحسن العمل . وكذلك قوله :

تَحَمَّلْتُ مَالُو حُمَلِ الدَّهْرِ شَطْرَهُ
لِفِكْرٍ دَهْرًا أَيُّ عِبَايِهِ أَثْقَلُ

فجعل للدهر عقلاً وجعله مفكراً في أي العباين أثقل ، وما شيء هو أبعث من الصواب من هذه الاستعارة ، وكان الأشبه والأليق بهذا المعنى لما قال :

- (١) الموازنة ج ١ ص ٢٤٥ .
(٢) الاخدعان : عرقان في صفحتي العنق . الخرق : الحمق .
(٣) العود : المسن من الابل والشاة .

الفصل الخامس

الكناية

الكناية لون من ألوان التعبير البياني وقد حُني بها نقاد العرب وعرفوا لها مكانتها في الايضاح والتأثير ، لأنها وردت كثيراً في كلام العرب وكتاب الله الخالد . وكانت في القرآن موجية وموجزة ومصورة للمعاني خبير تصوير ، وكانت مهذبة تتجنب ما ينبو على الاذن سماعه . ومن ذلك قوله تعالى : «ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتشعد ملوماً محسوراً» (١) ، فقد أراد أن «يمر - بسبخله . وتعالى - عن ذكر البخل والتبذير تعبيراً مصوراً موجياً فترك التصريح ، وقرن البخل باليد المغلولة إلى العنق وربط التبذير أو الكرم المفرط باليد المبسوطة التي لا يقف عليها الشيء . ومن ذلك قوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثمٌ ، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً ، أيحِبُّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه»؟ (٢) ، وقد عدل عن ذكر ما يتصل بالاغتياب صراحة وكنى عنه بأكل لحم الأخ الميت ، وفي ذلك صورة تدعو إلى التأنيب ، لأنها جسّمت عملية الاغتياب تجسماً يدعو إلى التأمل والخوف .

(١) سورة الاسراء ، الآية ٢٩ .

(٢) سورة المجرات ، الآية ١٢ .

ومنه قوله تعالى: «يوم يُحْشَرُ أعداءُ الله إلى النارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١)»، حتى إذا جاؤوها شهد عليهم آسنتهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون» (٢). وقد عبر عما لا يحسن ذكره «بجلودهم» وفي هذا صورة مؤدبة مهذبة جاءت بأحسن القول وأدق التعبير.

ومن الكناية قوله - عليه السلام - : «يا أنجشة رويدك سوقك بالقوارير» . وهي كناية عن النساء الرقيقات .

ومنها قول أبي تمام

مالي رأيتُ ترابكم يَبَسُّ الثرى

مالي أرى أطوادكم تتهدم؟

ف«يبس الثرى» كناية عن تنكر ذات البين ، و تهدم الاطواد كناية عن خفة الحلوم وطيش العقول.

تعريفها :

الكناية مصدر كُنِيَ يَكْنِي وَكُنَيْتَهُ كُنْيَةٌ حَسَنَةٌ . وذكر ابن منظور في «لسان العرب» أن الكُنْيَةَ على ثلاثة أوجه :

أحدها : أن يَكْنِي عن الشيء الذي يستفحش ذكره .

والثاني : أن يَكْنِي الرجلُ باسم توقيراً وتعظيماً .

والثالث : أن تقوم الكُنْيَةُ مقام الاسم فيعرف بها كما يعرف باسمه كأبي

لهب اسمه عبد العزى عُرِفَ بِكُنْيَتِهِ فسماه الله بها .

والكُنْيَةُ والكُنْيَةُ واحدة الكُنْيِ ، واكْتَنَى فلان بكذا . والكناية : «أن

تكلم بشيء وتريد غيره . وَكُنِيَ عن الأمر بغيره يَكْنِي كناية ، يعني

إذا تكلم بغيره مما يستدل عليه واستعمل سيبويه الكناية في علامة المضمرة .

وفي هذا النص جمع ابن منظور بين المعنى اللغوي والنحوي والاصطلاحي

وإن لم يكن الأخير تحديداً دقيقاً .

(١) يوزعون : يحبس أولم عل آخرهم لئلا يتفرقوا .

(٢) سورة فصلت ، الآيتان ١٩ - ٢٠ .

أولادها والتعظيم:

أكني بغير اسمها وقد عَلِمَ اللهُ خفيات كلِّ مُكْتَتَمٍ
وقال ذو الرمة استراحةً إلى التصريح من الكناية :

أحبُّ المكانَ القفرَ من أجلِّ أنسي
به أتغنى باسمها غيرَ مُعْجِمٍ

وثانيها : الرغبة عن اللفظ الخسيس المفحش إلى ما يدل على معناه من غيره
كقوله تعالى في المسيح وأمه : « كانا يا كلان الطعام » (١) ، وهو كناية عن قضاء
الحاجة .

وثالثها : التفضيم والتعظيم ، ومنه اشتقت الكنية ، وهو أن يعظم الرجل أن
يلعى باسمه ، وقد وقعت في الكلام على ضربين : في الصبي على جهة التفاؤل
بأن يكون له ولد يدعى بولده كناية عن اسمه ، وفي الكبير أن ينادى باسم
ولده صيانةً لاسمه (٢) .

وذكر قدامة بن جعفر فنا سماه «الإشارة» وهو أن يكون اللفظ القليل مشتملاً
على معان كثيرة بإيماء إليها أو لمحة تدل عليها كما قال بعضهم وقد وصف
البلاغة : «هي لَمْحَةٌ دالة» (٣) . وذكر في باب ائتلاف اللفظ والمعنى فناً
سماه «الإرداف» وهو أن يريد الشاعر دلالة على معنى من المعاني فلا يأتي باللفظ
الدال على ذلك المعنى بل بلفظ يدل على معنى هو ردفه وتابع له فإذا دلَّ على
التابع أبان عن المتبوع ، كقول عمر بن أبي ربيعة :

بعيدة مهوى القرط إماً لنوفل
أبوها وإماً عبْدُ شمسٍ وهاشمٍ
وإنما أراد أن يصف طول الجيد فلم يذكره بلفظه الخاص به بل أتى بمعنى

- (١) سورة المائدة ، الآية ٧٥ .
(٢) الكامل ج ٢ ص ٦٧٤ .
(٣) نقد الشعر ص ١٧٤ .

الرابع : وهو اختيار الشيخ تقي الدين السبكي أنها تقسم الى حقيقة ومجاز ، فان استعمل اللفظ في معناه مراداً من لازم المعنى ايضاً فهو حقيقة ، وإن لم يرد المعنى بل عبّر عنه بالملزوم عن اللازم فهو مجاز لاستعماله في غير ما وضع له (١) .

ونرى أنّ الكناية مجاز ، لأنّ اللفظ فيها لا يدل على المعنى المقصود حقيقة ، وهي أَلصَقُ من التشبيه بالمجاز .

أقسامها :

لم تكن للكناية تقسيمات واضحة في أول الأمر ، وليس في تقسيم المبرد ما يوضحها أو يرسم الحدود بين أقسامها ، بل لم يُردّ بها الكناية كما عرّفها المتأخرون ، ولذلك ظلت أقسامها عند الذين تلوّه تُدرس في باب واحد وإن اختلفوا في الاسماء . ولكنّ المتأخرين قسّموها وأوضحوا معالم كل قسم ، وعندنا تقسيمان واضحا لهما هما : تقسيم ابن الاثير الذي قسّمها الى أربعة أنواع : التمثيل ، والإرداف ، والمجاورة ، وما ليس كذلك (٢) ، ثم عدل عن هذا التقسيم وقسّمها الى ما يحسن استعماله ، وما لا يحسن استعماله (٣) . ولم يأخذ البلاغيون بتقسيم ابن الاثير الرباعي أو الثنائي وإنما أخذوا بتقسيم السكاكي ومن سار على نهجه ، فقد قسّموها الى ثلاثة أقسام هي (٤) :

الأول : الكناية المطلوب بها نفس الموصوف ، وهي قريبة وبعيدة ، ومثال القرية قول الشاعر كناية عن القلب :

الضاربين بكل أبيضٍ ميخَدمٍ

والطاعنين مجاميع الأضغمان (٥)

- (١) الاتقان في علوم القرآن ج ٢ ص ٤١ .
- (٢) الجامع الكبير ص ١٥٧ .
- (٣) المثل السائر ج ٢ ص ١٩٩ .
- (٤) مفتاح العلوم ص ١٩٠ ، والايضاح ص ٣١٩ .
- (٥) الابيض : السيّد . المخدم : القاطع .

و « مجامع الأضغان » كناية عن القلب .

ومثله قول البحرى :

فأَتْبَعْتُهَا أُخْرَى فَأَضَلَّتْ نَصَابًا...بِهَا

بحيث يكون اللب والرعب والحقد

وفي البيت ثلاث كنايات هي : « يكون اللب » و « الرعب » و « الحقد »

ويريد بها القلب . لأنه موطن هذه الصفات .

ومنه قول أبي تمام :

كم صارمٍ عَضُّبٍ أَنَافٍ عَلَى فِئِي

منهم لأعباءِ الوعى جَمَالِ

سَبَقَ المَشِيبُ إِلَيْهِ حَتَّى ابْتَرَهُ

وطنَ النَّهْيِ عَنِ مَفْرِقٍ وَقَدَالِ (١)

و « وطن النهى » هنا كناية عن الرأس .

وقول المعري :

سَلِيلُ النَّارِ دَقٌّ وَرَقٌّ حَتَّى

كَأَنَّ أَبَاهُ أَوْرَثَهُ السَّلَالَا (٢)

و « سليل النار » كناية عن السيف .

وقول الآخر :

وَدَبَّ لَهَا فِي مَوْطِنِ الحِلْمِ عِلَّةٌ

لَهَا كَالصَّلَالِ الرُّفْشِ شَرُّ دَيْبِ

و « موطن الحلم » كناية عن الصدور .

أما الكناية البعيدة فهي أن يتكلف المتكلم اختصاصها بأن يضم الى لازم

لازماً آخر وآخر حتى يلفق مجموعاً وصفيّاً مانعاً من دخول كل ما عدا مقصوده .

كأن يقول في الكناية عن الانسان : « حيّ مستوى القامة عريض الأظفار » .

(١) العضب . السيف القاطع . أناف : ارتفع . الفذل : ما بين الاذنين من مؤخر الرأس .

(٢) السلال : داء في الرئة ، وهو السل .

الثاني : الكناية المطلوب بها نفس الصفة ، وهي كالأولى قريبة وبعيدة ،
والقريبة مثل « فلان طويل النجاد » أي : طويل القامة ، و « فلان كثير أضيافه »
« أي : مضيف كريم ، و « خرساء الأساور » أي بدينة .
ومن هذا القسم قول طرفة :

أنا الرجلُ الضربُ الذي تعرفونه
خشاشٌ كراسٍ الحية المتوقد (١)
وقد كنتي في هذا البيت عن صلابة جسمه وخفة لحمه ومضى رأيه وتوقد
ذهنه وذكائه .

وقول الآخر :

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا
ولكن على أقدامنا تقطر الدما
وهذا كناية عن الشجاعة ، لأن الشجاع يواجه العدو فيضرب من قدام
ولذلك تقطر الدماء على قدميه في حين يضرب الجبان حين يفر على قفاه
ولذلك تسيل الدماء على عقبه .
أما الكناية البعيدة فهي الانتقال الى المطلوب من لازم بعيد بوساطة لوازم
متسلسلة كقول نصيب :

لعبد العزيز على قومه
وغيرهم مینن ظاهره
فبابك أسهل أبوابهم
ودارك مأهولة عامره
وكلبك آسن بسال الزائرین
من الأم بابتها الزائر
فانه انتقل من وصف كلبه بما ذكر أن الزائرین معارف عنده ، ومن ذلك
الى اتصال مشاهدتهم ليلاً ونهاراً ، ومنها الى لزومهم بابه ، ومنها الى وفوا
إحسانه وهو المقصود .

(١) الضرب : الخفيف . الخشاش : الرجل الذي ينخش أي يدخل في الأمور ذكاه ومضاء .

ومنه قول المتنبي كناية عن الكذب :

تشتكي ما اشتكيت من أَلَمِ الشَّنْوِ
قِ لِيهَا ، وَالشَّقْوَ حَيْثُ النُّحُولُ
ويحتاج الوصول الى المعنى الى عدة انتقالات ، فالشوق يهيج المحب ويبعث
في نفسه الألم ، وهذا يجرمه من النوم ويمنعه من الأكل ، وهذا يؤدي الى
النحول والمرض .

الثالث : الكناية التي يُطلب بها تخصيص الصفة بالموصوف وهي الكناية
عن نسبة ، يراد بها اثبات أمر لأمر أو نفيه عنه .
ومن ذلك قول زياد الاعجم :

إِنَّ السَّمَاةَ وَالْمَرْوَةَ وَالسَّنْدِي
فِي قَبَةِ ضُرْبَتِ عَلَى ابْنِ الْحَشْرَجِ
فإنه أراد أن يثبت اختصاص ابن الحشرج بهذه الصفات أي ثبوتها له ،
وأراد أن لا يصرح باثبات هذه الصفات له فجعله في قبة وجعلها مضروبة
عليه ، فأفاد اثبات الصفات المذكورة له بطريق الكناية .

ومنه قول الشنفرى في وصف امرأة بلعفة
بَيْتٌ بِمَنْجِيَاةٍ عَنِ اللُّومِ بَيْتُهَا
إذا ما بيوتٌ بالملامة حَلَّتْ

وقول حسان بن ثابت :
بَنِي الْمَجْدُ بَيْتًا فَاسْتَقَرَّتْ عِمَادُهُ
عَلَيْنَا فَأَعْيَا النَّاسَ أَنْ يَتَحَوَّلَا

وقول الآخر :
الْيُمْنُ يَتَّبِعُ ظِلَّهُ
وَالْمَجْدُ يَمْشِي فِي رِكَابِهِ

الفصل الاول البديع

في اللغة :

جاء في «لسان العرب» لابن منظور: «بدع الشيء يبدعه بدعاً وابتدعه : أنشأه وبدأه . وبدع الركيعة : استنبطها وأحدثها ، وركي بديع : حديثة الحفر . والبديع والبدع : الشيء الذي يكون أولاً ، وفي التنزيل : «قل ما كنتُ بدعاً من الرسل» (١)، أي: ما كنت أول من أرسل، قد أرسل قبلي رسل كثير . والبدعة : الحدت وكل محدثة . والبديع : المحدث العجيب . والبديع : المبدع . وابتدعت الشيء : اخترعته لاعلى مثال . والبديع : من أسماء الله تعالى لابداعه الاشياء واحداثه إياها ، وهو البديع الاول قبل كل شيء . وسقاء بديع : جديد ، وكذلك زمام بديع ... وحبل بديع : جديد . والبديع : المبتدع والمبتدع وأبدع الشيء : جاء بالبديع» . ولا يخرج معنى كلمة البديع في المعاجم الأخرى عن معنى الجدة والبراعة ، وهي من الألفاظ التي وردت في الشعر القديم فقال عدي بن زيد :
فلا أنا بدعٌ من حوادث تعتري
رجالاً غدت من بعد يؤس بأسعد

(١) سورة الاحقاف ، الآية ٩ .

وفي القرآن الكريم قوله تعالى : «بديعُ السماوات والأرض وإذا قَضَىٰ أمرًا
فانما يقولُ له «كنْ فيكون» (١) ، وقوله : «بديعُ السماوات والأرض أنتي
يكون له ولدٌ ولم تكن له صاحبةٌ ، وخالقُ كل شيءٍ وهو بكل شيءٍ عليم» (٢) .

المصطلح :

أما مصطلح «البديع» بمعناه الفني فقد ذكر الجاحظ (٥٢٥٥هـ) أنَّ الرواة
أول من أطلقه على المستطرف الجديد من الفنون الشعرية وعلى بعض الصور
البيانية التي يأتي بها الشعراء في أشعارهم فتزديدها حُسْنًا وجمالاً . قال معلقاً
على بيت الأشهب بن رميلة :

هُمُ سَاعِدُ الدَّهْرِ الَّذِي يُتَّقَىٰ بِهِ

وَمَا خَيْرُ كَفِّ لَاتِنَوْهُ بِسَاعِدِ

وقوله : «هم ساعد الدهر» إنما هو مثل ، وهذا الذي تسميه الرواة «البديع» (٣) .
لكنَّ أبا الفرج الإصفيهاني ذكر أنَّ الشاعر العباسي مسلم بن الوليد (٥٢٠٨هـ)
كان أول من أطلق هذا المصطلح ، يقول : «وهو فيما زعموا أول من قال
الشعر المعروف بالبديع ، وهو لقب هذا الجنس البديع واللطيف وتبعه فيه
جماعة ، وأشهرهم فيه أبو تمام الطائي فإنه جعل شعره كله مذهباً واحداً فيه» (٤) .
ودفع الجاحظ غلوه في حب العرب والرد على الشعوبية إلى أن يقول :
«والبديع مقصور على العرب ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة ، وأزبت على
كل لسان» (٥) .

وكان المولّدون من شعراء العصر العباسي قد أكثروا في أشعارهم من الصور
البيانية التي سميت «البديع» ، وهذه ظاهرة ليست غريبة بعد أن خرج العرب
من جزيرتهم واتصلوا بالأمم ، ودخل الرف مجتمعتهم الجديد وتألقوا .

- (١) سورة البقرة ، الآية ١١٧ .
- (٢) سورة الانعام ، الآية ١٠١ .
- (٣) إنبان والتبين ج ٤ ص ٥٥ .
- (٤) الاغاني ج ١٩ ص ٣١ .
- (٥) البيان ج ١ ص ٥١ .

الفصل الثاني

المحسنات اللفظية

المحسنات اللفظية كثيرة ولكن أهمها :

الجناس :

يسميه بعضهم «التجنيس»، وهو ثاني فن من فنون بديع ابن المعتز ، وقد عرفه بقوله : «هو أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام» (١) ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها . وهناك تعريفات كثيرة ولكنها تتفق في أن «الجناس» أن تتفق اللفظان في وجه من الوجوه ويختلف معناهما» (٢) . وللجناس أقسام كثيرة ولكنه بصورة عامة ينقسم إلى جناس تام وجناس ناقص .

١. الجناس التام أو الكامل أو المستوفي هو أن تتفق الكلمتان في لفظهما ووزنهما وحركاتهما ولا يختلفان إلا من جهة المعنى /، كقوله تعالى : «ويوم تقوم الساعة» ، يُقسِمُ المجرمونَ ما لبثوا غيرَ ساعة» (٣) ، فالساعة الأولى : القيامة ، والساعة الثانية : واحدة الساعات .

(١) البديع ٢ ص ٢٥ .

(٢) الطراز ج ٢ ص ٣٥٦ .

(٣) سورة الروم ، الآية ٥٥ .

ومنه قوله - عليه السلام - : «خَلِّتُوا بَيْنَ جَرِيرٍ وَالْجَرِيرِ» أي : دعوا
زمانه

ومنه قول أبي تمام :

فَأَصْبَحَتْ غُرُرُ الْأَيْسَامِ مَشْرِقَةً
بِالنَّصْرِ تَضْحَكُ عَنْ أَيَامِكَ الْغُرُرِ
فالغُرُرُ الأولى استعارة من غرة الوجه ، والثانية : مأخوذة عن غرة الشيء ،
أي : أكرمه .

وقوله .

مِنَ الْقِسْمِ جَعَدٌ أَيْضُ الْوَجْهِ وَالنَّدَى
وَلَيْسَ بِنَانٍ يُجْتَدَى مِنْهُ بِالْجَعَدِ
فالجعَد : السيد ، والبنان الجعد : ضد السبط ، فأحدهما يوصف به السخي ،
والآخر يوصف به البخيل .

٢ . الجناس الناقص وهو أنواع كثيرة ، منها المختلف ، والمطلق ، والمركب
والمذيل ، والمزدوج ، والمصحف ، والمضارع ، ومن أمثلة قوله - عليه
السلام - : «اللَّهُمَّ كَمَا حَسَّنْتَ خَلْقِي ، حَسِّنْ خُلُقِي» ، فهاتان اللفظتان
متساويتان في التركيب مختلفتان في الوزن والمعنى ومنه قولهم : «البِدْعَةُ
شَرُّكَ الشُّرُكِ» .

ومن الجناس الناقص قول البحري .

صَدَقَ الْغِرَابُ لَقْدَ رَأَيْتُ حَمُولَهُمْ
بِالْأَمْسِ تَغْرُبُ عَنْ جَوَانِبِ غُرْبِ
فجناس بثلاثة أشياء هي : الغراب ، وتغرب ، وغرب . ومنه قول أبي تمام :
يَمْسُدُونَ مِنْ أَيْدِي عَوَاصِمِ عَوَاصِمِمْ
تصُولُ بِأَسْيَافِ قَوَاضِ قَوَاضِيْمْ

وهذا الفن ينبغي أن يُراعى فيه جانب المعنى كأبي محسن آخر ، وإلا أصبح قلماً لا يقبله الذوق ولا ترتاح له النفس . ويلاحظ أن ردَّ العجز على الصدر قريب الصلة بالجناس ولذلك اضطرب عند بعض القدماء ، وهو في أشكاله المختلفة ينبغي أن يُراعى فيه ما يراعى في الجناس ، وأن يكون المعنى هو الذي يتطلبه ويستدعيه ليؤدي الهدف الذي يسعى إليه المتكلم ولا سيما الشاعر الذي تعنيه كثيراً موسيقى اللفظ وإيحاؤه .

السجع :

هو تواطؤ الفواصل في الكلام المنشور على حرف واحد ، (١) وهذا معنى قول السكاكي : « الأسجاع وهي في النثر كما القوافي في الشعر » (٢) . والسجع من أوصاف البلاغة في موضعه وعند سماحة القول فيه وأن يكون في بعض الكلام لاجمعيه ، فانه في الكلام كمثل القافية في الشعر . وقد ذمّه بعض واستحسنه بعض آخر ، غير أنه ورد في القرآن الكريم وفي كلام العرب الفصحاء . ولعل سبب ذمه أن المتأخرين أكثروا منه من غير مسوغ لذلك أصبح ثقيلاً لا يقبله الذوق . وقد قسمه ابن الأثير إلى ثلاثة أقسام :

١. أن يكون الفصلان متساويين لا يزيد أحدهما على الآخر كقوله تعالى :

«فأما اليتيم فلا تقهر . وأما السائل فلا تنهر» (٣)

٢. أن يكون الفصل الثاني أطول من الأول كقوله تعالى : بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً . إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً . وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبورا» (٤) .

(١) المثل السائر ج ١ ص ١٩٣ .

(٢) مفتاح العلوم ص ٢٠٣ .

(٣) سورة الضحى ، الآيتان ٩ - ١٠ .

(٤) سورة الفرقان ، الآيات ١١ - ١٣ .

٣. أن يكون الفصل الآخر أقصر من الأول ، وهو عند ابن الأثير عيب فاحش ، وذلك أن السجع يكون قد استوفى أمده من الفصل الاول بحكم طوله ثم يجيء الفصل الثاني قصيراً عن الاول فيكون كالأشياء المبتور فيبقى الانسان عند سماعه كمن يريد الانتهاء إلى غاية فيعثر دونها . ثم قسّمه على اختلاف أنواعه إلى السجع القصير وهو أن تكون كل واحدة من السجعتين مؤلفة من ألفاظ قليلة وكلما قلت الألفاظ كان أحسن لقرب الفواصل المسجوعة من سمع السامع . وهذا الضرب أوعر السجع مذهباً وأبعده متناولاً ، ولا يكاد استعماله يقع إلا نادراً . .
والسجع الطويل وهو ضد الاول ، لأنه أسهل متناولاً (١) .

وكل واحد من هذين الضربين تتفاوت درجاته في عدّة ألفاظ ، أما السجع القصير فأحسنه ما كان مؤلفاً من لفظتين كقوله تعالى : «المرسلات عرفاً» فالعاصفات عَصْفًا . (٢) ومنه ما يكون مؤلفاً من ثلاثة ألفاظ وأربعة وخمسة وكذلك إلى العشرة ، وأما السجع الطويل فان درجاته تتفاوت أيضاً في الطول ، فمنه ما يقرب من السجع القصير وهو أن يكون تأليفه من إحدى عشرة إلى اثنتي عشرة لفظة وأكثره خمس عشرة لفظة ، ومنه ما يكون تأليفه من العشرين لفظة أو ما يزيد على ذلك .

وقسّم المتأخرون السجع إلى أربعة أقسام هي (٣) :
١. المطرف : وهو أن يأتي المتكلم في أجزاء كلامه أو في بعضها باسجاع غير متزنة بزنة عروضية ولا محصورة في عدد معين بشرط أن يكون روي الاسجاع روي القافية كقوله تعالى : «مالكم لاترجون الله وقارا» . وقد خلّقتكم أطواراً « (٤) .

- (١) المثل السائر ج ١ ص ٢٣٨ ، والجامع الكبير ص ٢٥٣ .
- (٢) سورة المرسلات ، الآيتان ١ - ٢ .
- (٣) خزائن الادب ص ٤٢٣ .
- (٤) سورة نوح ، الآيتان ١٣ - ١٤ .

٢. الموازي : وهو أن تتفق اللفظة الأخيرة من القرينة مع نظيرتها في الوزن والروي ، كقوله تعالى : «سُرُرٌ مرفوعة» . وأكوابٌ موضوعة» . (١) ✓
 ٣. المشطر : وهو أن يكون لكل نصف من البيت قافيتان مغايرتان لقافيتي النصف الأخير وهذا القسم مختص بالتنظيم ، كقول أبي تمام : ✓

تديبرُ معتصمٌ بالله منتقسمٌ
 لله مرتغيبٌ في الله مُرتقيبٌ

٤. المرصع : وهو مقابلة كل لفظة بلفظة على وزنها ورويها كقوله تعالى :
 «إنَّ الأبرارَ لفي نعيم . وإنَّ الفُجَّارَ لفي جحيم» (٢) . ✓

وتقسيم ابن الأثير أكثر وضوحاً وأقرب إلى روح هذا الفن ، ولكن ولع المتأخرين بالتقسيمات دفعهم إلى هذه الاسماء الكثيرة والانواع المختلفة .
 والأصل في السجع إتّما هو الاعتدال في مقاطع الكلام ، والاعتدال مطلوب في جميع الأشياء والنفس تميل اليه بالطبع ، وشرط السجع الحسن أن يُصَفَّى من الغثائفة وأن يكون اللفظ تابعاً للمعنى . وقد وضع ابن الأثير للكلام المسجوع أربع شرائط (٣) :

١. اختيار مفردات الألفاظ على الوجه الصحيح ، وذلك أن تكون جيدة . ✓
٢. اختيار التركيب الحسن . ✓
٣. أن يكون اللفظ في الكلام المسجوع تابعاً للمعنى لا المعنى تابعاً للفظ . ✓
٤. أن تكون كل واحدة من الفقرتين المسجوعتين دالة على معنى غير المعنى الذي دلّت عليه اختتها . ✓

وتسمى الكلمة التي تختم بها الآية القرآنية فاصلة لقوله تعالى : « كتابٌ فُصِّلَتْ آياته» (٤) ومنع بعضهم أن تسمى سجعاً وذلك :

- (١) سورة الغاشية ، الآيتان ١٣ - ١٤ .
- (٢) سورة الانفطار ، الآيتان ١٣ - ١٤ .
- (٣) المثل السائر ج ١ ص ١٩٨ .
- (٤) سورة فصلت ، الآية ٣ .

الفصل الثالث المحسنات المعنوية

المحسنات المعنوية كثيرة ولكن أهمها :

المطابقة :

وتسمى الطباق والتطبيق والتكافؤ والتضاد ، وهي الفن الثالث من بديع ابن المعتز . والمطابقة هي الجمع بين المتضادين ، أي معنيين متقابلين في الجملة ، ويكون ذلك اما بلفظين من نوع واحد :

١. اسمين : كقوله تعالى : «وَتَحَسَّبُهُمْ أَيْقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ» (١) ، وقوله : «لِيُخْرِجَكُمُ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ» (٢) ، وقوله : «يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ» (٣) . وقوله - عليه السلام - : «خيرُ المالِ عينٌ ساهرةٌ لعينِ نائمةٍ» .
- ومنهُ قول الشاعر :

فله ابتسامٌ في لوامعِ بَرَقِيهِ
وله بُكاٌ من ودَّقِيهِ المتسربِّ

- (١) سورة الكهف ، الآية ١٨ .
- (٢) سورة الاحزاب ، الآية ٤٣ .
- (٣) سورة الروم ، الآية ١٩ .

وقول الفرزدق :

والشيبُ يَنْهَضُ في الشبابِ كأنَّه
ليلٌ يصيحُ بجانبيه نهارُ

وقول أبي تمام :

مالانُ ترى الأحسابَ بيضاً وضاحياً
إلاّ بحيثُ ترى المنايا سوداً

وقول البحتري :

وتوقّعي منك الاساءةَ جاهلياً
والعدلُ أنْ أتوقّعَ الاحسانا
وكما يَسُـرُّكُ لِنُ مَسِي راضياً
فكذلك فاحشٌ خُشونتي غضباناً

وقوله :

كَأَنَّ سُهَادَ اللَّيْلِ يَعَشَقُ مَقَامِي
فبينهما في كل هَجْرٍ لنا وَصْلُ
٢. أو فعلين : كقوله تعالى : «تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِنْ
تَشَاءُ ، وَتَعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ» (١) . وقول النبي : - صلى الله
عليه وسلم - للانصار : «إنكم لتكثرون عند الفزع ، وتعلمون عند الطامع» .
ومن ذلك قول أبي صخر الهذلي :

أما والذي أبكى وأضحك والذي
أما والذي أبكى وأضحك والذي أمره أمرُ

وقول الآخر :

لقد ساءني أنْ تلتقي بمــــودّة
لقد سرّني أني خَطَرْتُ بِبَالِكَ

(١) سورة آل عمران ، الآية ٢٦ .

٣. أو حرفين : كقوله تعالى : «لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت» (١)
وقول الشاعر :

على أنني راضٍ بأن أحمل الهوى
وأخلص منه لا علي ولا لغيري

وتنقسم المطابقة إلى قسمين :

١. مطابقة الايجاب ، وهي كالأمثلة السابقة .

٢. مطابقة السلب : كقوله تعالى : «ولكن أكثر الناس لا يعلمون . يعلمون
ظاهراً من الحياة الدنيا» (٢) . وقول الشاعر :

وننكر إن شئنا على الناس قولهم

ولا ينكرون القول حين

وقول البحري :

يُقَيِّضُ لي من حيث لا أعلم النوى

ويَسْرِي الي الشوق من حيث أعلم

وَأَلْحَقَ القزويني بهذين القسمين «إيهام التضاد» (٣) ، وهو أن يوهم لفظ ضد
أنه ضد ، مع أنه ليس كذلك ، كقول دِعْبِل الخزاعي :

لا تَعْجَبِي ياسلَمُ من رَجُلٍ

ضَحِكَ الشَّيْبُ برأسه فليس

فإن «الضحك» هنا من جهة المعنى ليس ضد البكاء ، لأنه استعارة عن
الشيب ، ولكنه من جهة اللفظ يوهم المطابقة .

ومنه قول قُرَيْط بن أنيف :

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٨٦ .

(٢) سورة الروم ، الايتان ٦ - ٧ .

(٣) الايضاح ص ٣٤٠ .

٣. أو حرفين : كقوله تعالى : «لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت» (١)
وقول الشاعر :

على أنني راضٍ بأن أحمل الهوى
وأخلص منه لا علي ولا لغيري

وتنقسم المطابقة إلى قسمين :

١. مطابقة الايجاب ، وهي كالأمثلة السابقة .

٢. مطابقة السلب : كقوله تعالى : «ولكن أكثر الناس لا يعلمون . يعلمون
ظاهراً من الحياة الدنيا» (٢) . وقول الشاعر :

وننكر إن شئنا على الناس قولهم

ولا ينكرون القول حين

وقول البحري :

يُقَيِّضُ لي من حيث لا أعلم النوى

ويَسْرِي الي الشوق من حيث أعلم

وَأَلْحَقَ القزويني بهذين القسمين «إيهام التضاد» (٣) ، وهو أن يوهم لفظ ضد
أنه ضد ، مع أنه ليس كذلك ، كقول دِعْبِل الخزاعي :

لا تَعَجَّبِي ياسلم من رجُل

ضحك الشيب برأسه فليس

فإن «الضحك» هنا من جهة المعنى ليس ضد البكاء ، لأنه استعارة عن
الشيب ، ولكنه من جهة اللفظ يوهم المطابقة .

ومنه قول قُرَيْط بن أنيف :

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٨٦ .

(٢) سورة الروم ، الايتان ٦ - ٧ .

(٣) الايضاح ص ٣٤٠ .

يَجْزُونَ مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً
وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانًا

فـ «الظلم» ليس بـ «المغفرة» وإنما يوهم بلفظه أنه ضد .
وأدخل القزويني في «إيهام التضاد» قول أبي تمام :

ما إن ترى الاحسابَ بيضاً وضحاً
إلاّ بحيث ترى المنايا سوداً

فـ «البيض» هنا «النقيات» ، و «السود» «المثبات» .
وقوله :

له منظر في العين أبيض ناصع
ولكنه في القلب أسود أسفح

وآراد هنا أنه مؤذ مؤلم لا اللون الذي هو ضد الأبيض .

والمطابقة من مقومات التعبير لأنها تعتمد على عرض الاضداد والمتناقضات
ولذلك فهي ليست محسناً وإنما هي وسيلة من وسائل التعبير.

المقابلة:

تكلم عليها قدامة وهي من أنواع المعاني (١) ، وأدخلها جماعة في المطابقة كابن
الاثير الذي قال : «اعلم أن الأليق من حيث المعنى أن يسمى هذا النوع المقابلة» (٢) .
والقزويني الذي قال : ودخل في المطابقة ما يخص باسم المقابلة ،
وهو أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة ثم بما يقابلهما أو يقابلها
على الترتيب» (٣) . ولكن ابن حجة الحموي قال : «وهو غير صحيح ،
فان المقابلة أعم من المطابقة وهي التنظير بين شيئين فأكثر ، وبين ما يخالف وما
يوافق . فبقولنا «وما يوافق» صارت المقابلة أعم من المطابقة فان التنظير بين
ما يوافق ليس بمطابقة» (٤) .

(١) نقد الشعر ص ١٥٢ .

(٢) الجامع الكبير ص ٢١٢ .

(٣) الايضاح ص ٣٤١ .

(٤) خزانة الادب ص ٥٧ .

وَفَرَّقَ الْبَلَاعِيُونَ بَيْنَ الْمَطَابِقَةِ وَالْمُقَابَلَةِ مِنْ وَجْهَيْنِ :
 الاول : إنَّ الطَّباقَ لَا يَكُونُ إِلَّا ضِدَيْنِ غَالِبًا ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : « وَهُوَ الَّذِي يُمَيِّنُكُمْ
 ثُمَّ يُحْيِيكُمْ » (١) . وَالْمُقَابَلَةُ تَكُونُ غَالِبًا بِالْجَمْعِ مِنْ أَرْبَعَةِ اضْدَادٍ : ضِدَيْنِ فِي
 أَصْلِ الْكَلَامِ وَضِدَيْنِ فِي عَجْزِهِ وَتَبْلُغُ إِلَى الْجَمْعِ مِنْ عَشْرَةِ اضْدَادٍ ، خَمْسَةٌ فِي
 الصَّدْرِ وَخَمْسَةٌ فِي الْعَجْزِ .

الثاني : لَا يَكُونُ الطَّباقُ إِلَّا بِالاضْدَادِ ، وَالْمُقَابَلَةُ تَكُونُ بِالاضْدَادِ وَغَيْرِهَا (٢) .
 وَتَأْتِي الْمُقَابَلَةُ عَلَى أَنْوَاعٍ مِنْهَا :
 ١. مُقَابَلَةُ اثْنَيْنِ بَاثْنَيْنِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : « فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا » (٣) وَقَوْلِ
 النَّبِيِّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - : « إِنَّ الرَّفِقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ ، وَلَا يَنْزِعُ مِنْ
 شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ » . وَقَوْلِ النَّابِغَةِ الْجَعْدِي :
 فَتَى تَمَّ فِيهِ مَا يُسْرُّ صَدِيقَهُ
 عَلَى أَنْ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعَادِيَا

وقول الآخر :
 فَوَاعَجِبًا كَيْفَ اتَّفَقْنَا فَنَاصِصًا
 وَفِي وَمَطْوِيٌّ عَلَى الْغَيْلِ غَادِرٌ
 ٢. مُقَابَلَةُ ثَلَاثَةٍ بِثَلَاثَةٍ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : « وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ
 الْخَبَائِثَ » (٤) . وَمِنْهُ قَوْلُ أَبِي دُلَامَةَ :
 مَا أَحْسَنَ الدِّينَ وَالدُّنْيَا إِذَا اجْتَمَعَا
 وَأَقْبَحَ الْكُفْرَ وَالْإِفْلَاسَ بِالرَّجُلِ

وقول المتنبي :
 فَلَا الْجُودُ يُغْنِي الْمَالَ وَالْجِدُّ مُقْبِلٌ
 وَلَا الْبَخْلُ يَبْقِي الْمَالَ وَالْجِدُّ مُدْبِرٌ

(١) سورة التوبة ، الآية ٨٢ .
 (٢) تحرير التحبير ص ١٧٩ ، وبديع القرآن ص ٣١ ، والنوائذ ص ١٤٨ .
 (٣) سورة التوبة ، الآية ٨٢ .
 (٤) سورة الاعراف ، الآية ١٥٧ .

ومنه قول السموأل :

وإننا لقومٌ لا نرى القتل سُببَةً
إذا ما رأته عامراً وسلولُ
فقد افتخر بقومه، ثم هجا عامراً وسلولا، وعاد بعد ذلك إلى الفخر فقال :
يُقَرَّبُ حُبُّ الموتِ آجالنا لنا
وتكرههُ آجالهم فتطولُ

تأكيد المدح بما يشبه الذم :

ذكره ابن المعتز في بديعه، وهو عنده من محاسن الكلام وسمّاه بعض
البلاغيين «الاستثناء» (١) لأنَّ حسنه المعنوي من أثر أداة الاستثناء التي يُبنى
عليها. وهو نوعان :

١. أنْ يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح بتقديرها فيها، كقول
النابغة الذبياني :

ولا عَيْبَ فيهم غير أنَّ سيوفهم
بهنَّ فلولٌ من قِراعِ الكتائبِ

أي : إنَّ كان فلول السيف من قِراعِ الكتائب من قبيل العيب، فأثبت
شيئاً من العيب على تقدير ان فلول السيف منه، وذلك محال، فهو في المعنى
تعليق بالمحال .

٢. أنْ يثبت لشيء صفة مدح ويعقب بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى
له كقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : «أنا أفصح العرب بيْدَ
أنتي من قريش». ومنه قول النابغة الجعدي :

فتى كَمَلتُ أخلاقه غيبر أنتسه
جوادٌ فما يُبقي من المال باقيا

(١) كتاب الصناعتين ص ٤٠٨ ، واعجاز القرآن ص ١٠٦ ، والعمدة ج ٢ ص ٤٨ .

وأصل الاستثناء في هذا النوع أن يكون منقطعاً لكنه باقٍ على حاله لم يُقَدَّر متصلاً فلا يفيد التأكيد إلا من الوجه الثاني .

تأكيد الذم بما يشبه المدح :

- وهو كالفن السابق يقوم على الاستثناء وما فيه من مباحة، وهو ضربان: (١) أن يُسْتثنى من صفة مدح منفية عن الشيء صفة ذم بتقدير دخولها فيها . مثل : « فلان لاخير فيه إلا أنه يُسيء الى من يُحسِن إليه » .
٢ . أن يُثبِت للشيء صفة ذم ويعقب بأداة استثناء تليها صفة ذم أخرى له مثل : « فلان فاسق إلا أنه جاهل » .

تجاهل العارف :

- وهو من محاسن بديع ابن المعتز (٢) ، وقد قال عنه أبو هلال العسكري :
« تجاهل العارف ومزج الشك باليقين هو : إخراج ما يُعرف صحته منخرج الشك فيه ليزيد بذلك تأكيدا (٣) » .
وسماه ابن رشيق « التشكك (٤) » ، ولم يقبل السكاكي تسميته « تجاهل العارف » وسماه « سوق المعلوم مساق غيره (٥) » .
ويأتي للتوبيخ كقوله تعالى : « أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبدُ أبأؤنا أو أن نفعَل في أموالنا ما نشاء (٦)؟ » وقول الخارجية :
أيا شَجَرَ الخابور مالكَ مُسَوِّقاً
كأنك لم تجسزَع على ابنِ طَريفِ

(١) الايضاح ص ٣٧٤ .

(٢) البديع ص ٦٢ .

(٣) كتاب الصناعتين ص ٣٩٦ .

(٤) العمدة ج ٢ ص ٦٦ .

(٥) مفتاح العلوم ص ٢٠٢ .

(٦) سورة هود ، الآية ٨٧ .